الأدب الإسلامي ونقده عند أنور الجندي

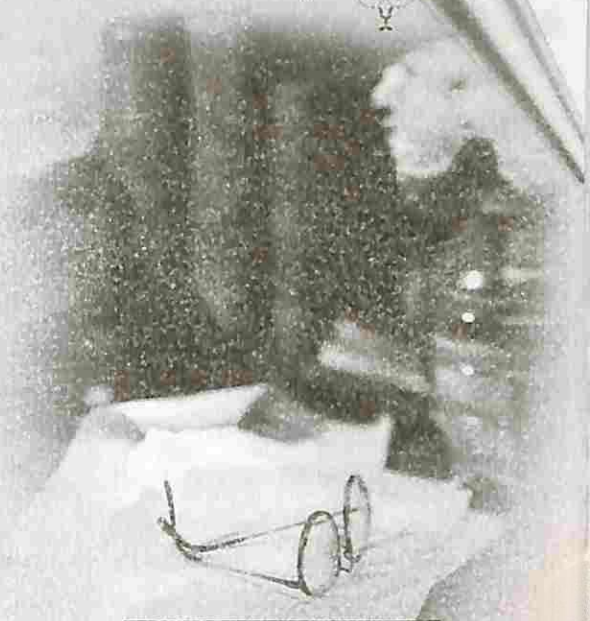

عاصر الأستاذ أنور الجندي - رحمه الله - نهضة الأدب العربي الحديث، في بداياتها إلى أن استوت على سوقها، وأمضى ما يقارب ستين عاماً، مشاركاً وموجهاً في مجال الأدب والفكر، وهو في هذه المشاركة ينطلق من فكر إسلامي سليم يدعو إلى تأصيل العلوم والمعارف، وأسلمة الحياة في كل جوانبها.

ولقد كان الأستاذ الجندي - رحمه الله - داعياً إلى منهج إسلامي في دراسة الأدب والنقد، ينطلق هذا المنهج من الثقافة العربية والإسلامية الأصيلة، محذراً في الوقت نفسه من الاعتماد على المناهج الوافدة الغربية في الدراسة الأدبية.

بقلم: محمد رشدان العصيمي
السعودية

ولكن شهرة أنور الجندي - رحمه الله - بأنه مفكر إسلامي طغت على جوانب أخرى، وأعني هنا الجانب الأدبي والنقدي، رغم أن للجندي من المؤلفات في هذا المجال الشيء الكثير ومن أبرز الأمثلة عليها ما يلي:

١- خصائص الأدب العربي في مواجهة نظريات النقد الأدبي الحديث، القاهرة، دار العلوم، ١٩٧٥م.

٢- الشعر العربي المعاصر، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية.

٣- الشعوبية في الأدب العربي الحديث، القاهرة، دار الاعتصام ١٩٧٧م.

٤- صفحات مجهولة من الأدب العربي المعاصر، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٩م.

٥- الفنون والمسرح، الدمام، دار الإصلاح، ١٩٨١م.

٦- المحافظة والتجديد في النثر العربي المعاصر في مئة عام، القاهرة، مطبعة الرسالة، ١٩٦١م.

٧- نزعات التجديد في الأدب العربي المعاصر، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية.

٨- متى يعود الأدب العربي المعاصر إلى أصالته، القاهرة، دار الأنصار.

ومن خلال النظر في المؤلفات السابقة نجد أنور الجندي يتميز عن غيره عند نظرته إلى الأدب بأن همه الأول خلال هذه النظرة هو المحافظة على الفكر الإسلامي من أن يكون في الأدب ما يخدش سلامته، فالرؤية الإسلامية للأدب والنقد تظهر بجلاء في مؤلفات الجندي ذات العلاقة بالأدب والنقد.

فالأستاذ الجندي كما يظهر من كتاباته المتعددة عن الأدب العربي يرى أن أبرز الأصول التي ينبغي اتباعها عند محاولة فهم الأدب العربي النظر إلى هذا الأدب على أنه وحدة من وحدات الفكر الإسلامي «فأخطر ما هنالك هو تقبل النظرية المسمومة التي تقول بأن الأدب العربي له استقلاله عن الفكر الإسلامي، وله حريته في مجال الأداء دون اعتبار للمسؤولية الأخلاقية والحدود والضوابط التي قررها الإسلام للمجتمع، وهذه أخطر السهام المسمومة التي أصابت الأدب العربي اليوم (١).

ويلاحظ أن الجندي يربط الأدب حتى في مجال الأداء أي: الشكل بالفكر الإسلامي، فالشكل الفني إذا تعارض مع الحدود والضوابط التي وضعها الإسلام لا يمكن قبوله، بل إنه يعد انحرافاً بالأدب عن الطريق السليم الذي يجب أن يسير فيه، فالفكر الإسلامي يؤصل للأدب في مجال المضمون وكذلك في الشكل على حد سواء.

ومن ملامح التأصيل الإسلامي للأدب عند أنور الجندي دعوته إلى محاكمة جميع الطروحات في سماء الأدب إلى التصور الإسلامي، فنجده يقول: «إن كتاب التغريب يطرحون في أفق الفكر الإسلامي، والأدب العربي تصورات وافدة خاصة في مجال الحداثة والبنيوية والواقعية والاشتراكية، وهذا أفق متصل تمام الاتصال بالتصور الإسلامي الذي يتطلب منا تجلية موقف الإسلام الذي يملك نظرية أساسية في الأدب والفن، وله مفهوم أصيل للقصة والمسرح والشعر(٢)».

ويحدد الأستاذ أنور الجندي الثوابت التي يجب الاعتماد عليها في أخذ وبناء نظرية الأدب الإسلامي بأنها يجب أن تكون مما أقره القرآن والسنة ابتداءً، ثم مما توصل إليه علماء الإسلام» فالقرآن والسنة لا يدخلان في مقولة التراث، بل هما من الثوابت، أما التراث فيبدأ بعمل العلماء والفقهاء والمؤرخين، ويلتزم العمل الفكري والأدبي بالتحرك في إطار الثوابت، وعندما ينظر إلى التراث يجب أن تكون القواعد الأساسية التي قررها القرآن الكريم والسنة المطهرة قائمة (٣)».

موقف الجندي من الالتزام:

كما أن للجندي - رحمه الله - موقفاً واضحاً من مفهوم الالتزام فهو من أشد الداعين إليه، فنجد أن الأستاذ أنور الجندي يأخذ على الأدب العربي المعاصر أنه فقد مبدأ الالتزام الذاتي المنطلق من قناعة الأديب، فهو يقول: «لقد جرى في السنوات الأخيرة تساؤل عريض هو: لماذا لا يمثل الأدب المكتوب روح هذه الأمة؟ ولماذا تخلف وسقط وانحرف وضعفت قدرته على التعبير، وضعف نقاده عن الأداء الصحيح(٤)»، ويعلّل لهذا بقوله: «ذلك أن هذا الأدب الذي نراه سواء في مجال الشعر، أو القصة، أو المسرحية لا يستمد روحه من قلب هذه الأمة، ولكنه يستمد مادته من الفكر الوافد، وأغلب الذين يكتبونه لا يمثلون هذه الأمة(٥)».

فالأدب العربي الحديث لا يصور حقيقة هذه الأمة، ذلك أنه ينطلق من أصول وتراث غير عربي، أو بتعبير أدق غير إسلامي» وإذا كان الأدب الحديث في كل أمة إنما ينطلق من أصوله وتراثه، فإن الأديب العربي لا يجد له منطلقاً إلا من خلال الأخلاق والقيم الروحية والنفسية الواعية لطبيعة الشخصية الإنسانية والحامية لها من الانهيار والتحلل، وطبيعة المجتمع الإسلامي القائمة على التوفيق بين الروح والمادة، والقلب والعقل(٦)».

الحرية والالتزام:

كما أن أنور الجندي لم يغفل أمراً مهماً عند الحديث عن الالتزام الإسلامي في الأدب، وهو دعوى أن الالتزام يضع قيوداً على حرية الأديب تمنعه أن ينطلق في سماء الإبداع، ويحلق في جمال التصوير، فنجده يقول عن هذا الأمر: «إن الالتزام بالضوابط ليس تقييداً لحرية الأديب، وإنما هو توجيه لمشاعره وأحاسيسه، وأدبه وفنه، كي يكون إنتاجه إسهاماً في بناء الأمة لا هدمها، والأديب المسلم الذي يلتزم بعقيدة الإسلام ويعيش حياة إسلامية، يستطيع أن يعبر عن كل الأحاسيس والمشاعر بصدق ورفق، وأن يكون عطاؤه من أعلى المستويات محافظة على قيمه الإسلامية(٧)».

كما أن الجندي يرفض إعطاء الحرية المطلقة للأديب، إذ عليه أن يمارس حريته في نطاق ضوابط عقدية وأخلاقية محددة، «فالالتزام بالضوابط والقيود بناء على عقيدة يؤمن بها الكاتب، وليس من الضروري أن يعطي الأديب والفنان رخصة انفلات من كل ما من شأنه أن يصلح حياة الإنسان ويقومها ويضبطها، إن فكرة إطلاق الحرية للكاتب أوالشاعر بغض النظر عن أثرها في المجتمع فكرة خاطئة تخالف مبدأ الحرية وتطبيقه(٨)».

الأخلاقية والالتزام:

ونظرة الجندي إلى الالتزام الأدبي عند الأدباء تنطلق من كون الأدب قيمة من القيم التي تدخل تحت مظلة القانون الأخلاقي المستمد من الدين، فلا يمكن أن يعطل هذا القانون لأجل قيمة على حساب القيم الأخرى، حيث يقول الأستاذ أنور الجندي: «يقف الإسلام موقفاً واضحاً إزاء علاقة الفن بالأخلاق والجمال على نحو حاسم، فالأخلاقية قبل الجمالية، ويصدر الإسلام في هذا الموقف من أساس طبيعي هو مبدأ الالتزام الأخلاقي الذي يفرض طابعه على كل مقررات الفكر والحياة، فضلاً عن مفهوم التكامل الجامع بين القيم، الذي يحول دون أن تطغى قيمة من القيم أو تستعلي على نحو ما(٩)».

ومن خلال مبدأ التوازن بين القيم يتضح أيضاً أن التوازن يكون بين الجمالية والأخلاقية مطلوباً، «ومن هنا فإن الفنان أوالشاعر في الإسلام لا يعنى بالعبارة وحدها، ولا يضحي من أجلها بالمعنى، كما أنه لا يدع المعنى يصرفه عن الأداء وحسن البيان(١٠)».

ولعلنا فيما يلي نحاول الإجابة على التساؤل التالي:

ما ملامح الالتزام الإسلامي في نقد أنور الجندي؟

ويمكن تحديد تلك الملامح فيما يلي:

١- مكانة الأدب:

لعل من أبرز ملامح الالتزام الإسلامي عند الجندي نظرته المتميزة للأدب، فهو يرى أن الأدب ما هو إلا لبنة ضمن بناء كبير هو الفكر الإسلامي، وبالتالي ينبغي أن يكون هذا الأدب داعماً، ومقوياً لهذا البناء، مصبوغاً بصبغته، عاملاً لخدمة هذا الفكر، فها هو ذا يقول موضحاً هذه الفكرة: «من أخطر النظريات التي حاولت حركة التغريب أن تفرضها على الأدب العربي للقضاء على جوهره، وعزله عن طبيعته ومقوماته، هي نظرية استقلالية الأدب، وانفصاله عن العناصر الأخرى المكونة له والمرتبطة به، وفق مفهوم أساسي في الفكر الإسلامي والثقافة العربية قوامه أن الفكر مركب، والأدب أحد العناصر التي يتكون منها هذا المركب، ومنها الاجتماع والسياسة والتربية، والفن والقانون والاقتصاد.

ولقد قام الفكر الإسلامي والثقافة العربية وليدته على هذه القاعدة العتيدة التي ليس من السهل التحرر منها، من حيث قيام الأدب بالانفصال عن مختلف المقومات الأخرى التي تربطه بها جذور عميقة وأصول ثابتة(١١)».

٢- هدف الأدب:

ومن ملامح الالتزام في نقد الجندي، الهدف الذي تنطلق منه الكتابة عند الجندي هو الدفاع عن الإسلام، وكشف الشبهات التي تنتشر في مجال الأدب والفكر، فقد سعى إلى كشف كثير من الشبهات، دافعه في ذلك حماية الأجيال المسلمة من مخاطر هذه الشبهة أو المقولة، حيث نجد الجندي يقول في حديثه عن سبب كتابته عن طه حسين:

« لقد حاولنا في هذا الكتاب تحقيق تلك الغاية التي تفوق كل الغايات، وهي ما تنادينا به «تبعة الأجيال» ومسؤولية أمتنا إزاء ذلك الركام الضخم الذي ما زال بين أيدي الناس مطبوعاً ومنشوراً، كان علينا أن نواجه المسؤولية إزاء ما يحمله فكر طه حسين إزاء الأجيال المتعاقبة، بعد أن مضى صاحبه وفكره ما زال مطروحاً بين أيدي الشباب بكل ما فيه من تناقض وسموم وشكوك وشبهات(١٢)».

٣- المضمون قبل الشكل:

كما أن من أبرز ملامح الالتزام في نقد أنور الجندي أنه يهتم بالفكرة لا بالشخص، فكل من يحمل فكراً نيراً ويكتب أدباً قيماً هو الأديب بحق، حتى وإن لم يشتهر، فهو القمة الشامخة، وهو الذي يجب أن يعد من جيل العمالقة، أما من كان فكره منحرفاً، أو بعيداً عن منهج الإسلام - وإن سلطت عليه الأضواء وأطلقت عليه الألقاب - فليس بشيء.

لماذا؟ لأن الجندي ملتزم بمبدأ لا يتأثر بالزخرف ولا البهرجة الزائفة، إنه يركز على المضمون، فهو يعد الأدب أدب مضمون بالدرجة الأولى، فمتى ما حمل الأدب مضموناً سليماً صحيحاً، ينظر بعد ذلك في العوامل الأخرى، والمقاييس التالية للمضمون.

ولعل هذا الملمح يبرز بوضوح في كتابه (جيل العمالقة والقدم الشوامخ في ضوء الإسلام)، حيث نجده يقول: « والحقيقة التي يتجاهلها أتباع التغريب والغزو الثقافي أن الشوامخ والعمالقة الحقيقيون ليسوا هؤلاء، وإنما أولئك الذين نسيهم الناس وتجاهلتهم الصحافة، وحجبهم الإعلام.. وكثيرون هم الشوامخ الحقيقيون، ولكن طه حسين وهؤلاء ليسوا إلا أقزاماً من التغريبيين، أتباع المستشرقين الذين أعطاهم النفوذ الأجنبي هذه الشهرة والمكانة، وظل يدافع عنهم حتى اليوم، حماية لوجوده من خلالهم، وإلا فقل لي بربك من غير طه حسين يقام له حفل سنوي يدعى إليه المستشرقون من كل مكان في أوربا، ولماذا لا يقام هذا التقدير لمصطفى صادق الرافعي، أو رشيد رضا، أو شكيب أرسلان(١٣)».

الهوامش:

* رسالة ماجستير نوقشت في كلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض،بإشراف د. عبد الله بن صالح العريني.

(١) - المعاصرة في إطار الأمانة،أنور الجندي،ص١٢٦ .

(٢) - البدائل الإسلامية، نفسه، ص ٣٠٩ .

(٣) - عطاء الإسلام الحضاري، نفسه، ص١٥١، إصدار رابطة العالم الاسلامي، مكة المكرمة ١٤١٦ هـ.

(٤) - مفاهيم العلوم الاجتماعية والنفس والأخلاق في ضوء الإسلام، نفسه، ص٢٥٤، دار الاعتصام، القاهرة، ط١، ١٩٧٧م.

(٥) - مفاهيم العلوم الاجتماعية والنفس والأخلاق في ضوء الإسلام، نفسه، ص٢٥٤، دار الاعتصام، القاهرة، ط١، ١٩٧٧م.

(٦) - خصائص الأدب العربي في مواجهة نظريات النقد الأدبي الحديث، نفسه، ص ٤٢١، دار الكتاب اللبناني، ط٢، ١٩٨٥م.

(٧) - العودة إلى المنبع، نفسه، ص٢٨٦، دار الاعتصام، القاهرة، ١٩٨٤م.

(٨) - العودة إلى المنبع، نفسه، ص٢٨٥، دار الاعتصام، القاهرة، ١٩٨٤م.

(٩) - مفاهيم العلوم الإجتماعية، نفسه، ص ٣٤٥ .

(١٠) - خصائص الأدب العربي، نفسه، ص ١٣٩ .

(١١) - خصائص الادب العربي، نفسه، ص ٧٨ .

(١٢) - محاكمة فكر طه، نفسه، ص١٣، دار الاعتصام، القاهرة.

(١٣) - جيل العمالقة والقمم الشوامخ في ضوء الإسلام، نفسه، دار الاعتصام، القاهرة.

من مؤلفات أنور الجندي

- « آفاق جديدة للدعوة الإسلامية في عالم الغَرْب ».
- « ابتعاث الأسطورة مؤامرة جديدة تواجه الفكر الإسلامي ». (سلسلة: في دائرة الضوء رقم ٣٩).
- « أحمد زكي الملقب بشيخ العروبة .. حياته، آراؤه، آثاره ». (سلسلة أعلام العرب رقم ٢٩).
- « أخطاء الفلسفة المادية ». (سلسلة : في دائرة الضوء رقم ٩).
- « أخطاء المنهج الغربي الوافد ».
- « الأخطار التي تواجه الأمم ». (سلسلة: موسوعة القرن الخامس عشر الهجري رقم ٩). (ط : ١٩٥٩م).
- « الأدب العربي الحديث في معركة المقاومة والتجمع والحرية ».
- « أساليب الغزو الفكري ».
- « الإسلام على مشارف القرن الخامس عشر ». (سلسلة: الموسوعة الإسلامية العربية).
- « الإسلام في أربعة عشر قرناً ». (سلسلة : أحاديث إلى الشباب المسلم رقم ٤).
- « الإسلام في حضارته ونظمه الإدارية والسياسية والعلمية ». (ط : ١٩٧٣م).
- « الإسلام في مواجهة الفلسفات القديمة ». (سلسلة : الموسوعة الإسلامية العربية رقم ١١).
- « الإسلام في وجه التحديات الوافدة والمؤثرات الأجنبية ». (سلسلة : في دائرة الضوء رقم ٢٧).
- « الإسلام والتيارات الوافدة ». (سلسلة : قضايا إسلامية). (ط : ١٩٨٧).
- « الإسلام والحضارة ».
- « الإسلام وحركة التاريخ ».
- « الإسلام والدعوات الهدامة ».
- « الإسلام والعالم المعاصر ».
- « الإسلام وموقفه بين الفلسفات والأديان ». (ط : ١٩٨٣م، - مقدمات العلوم والمناهج).
- « أصالة الفكر العربي الإسلامي في مواجهة الغزو الثقافي ».
- « أضواء على الأدب العربي المعاصر ». (سلسلة : المكتبة العربية).
- « أضواء على الفكر العربي الإسلامي ». (سلسلة : قضايا إسلامية).
- « إطار إسلامي للفكر المعاصر ». (سلسلة : موسوعة القرن الخامس عشر الهجري رقم ٦).
- « إعادة النظر في كتابات العصريين في ضوء الإسلام ». (سلسلة : موسوعة القرن الخامس عشر الهجري).
- « اعرضوا أنفسكم على موازين القرآن ». (سلسلة في دائرة الضوء رقم ٢٩).
- « الأعلام الألف ».
- « أعلام وأصحاب أقلام ». (ط : ١٩٨٤م).
- « الإمام المراغي ». (سلسلة : اقرأ رقم ١١٥).
- « الانقطاع الحضاري ». (سلسلة في دائرة الضوء رقم ٣٥).
- « أهداف التغريب في العالم الإسلامي». (ط : ١٩٨٧م).
- «بطاقة إسلامية ». (ط : ١٩٧٩م).
- « البطولة في تاريخ الإسلام ». (سلسلة في دائرة الضوء رقم ٢١).
- « بماذا انتصر المسلمون ». (ط: ١٩٨٣م، سلسلة : الرسالة الإسلامية رقم٢).
- « بناء منهج جديد للتعليم والثقافة على قاعدة الأصالة ». (سلسلة : في دائرة الضوء رقم ٥٠).
- « البهائية من الدعوات الهدامة ». (سلسلة في دائرة الضوء ٣٦).
- « تاريخ الدعوة الإسلامية في مرحلة الحصار من حركة الجيش إلى كامب ديفيد » . (ط : ١٩٨٧م).
- « تاريخ الصحافة الإسلامية ». (ط : ١٩٨٤م).
- « تأصيل اليقظة وترشيد الصحوة ». (سلسلة : موسوعة العلوم الإسلامية).
- « التبشير الغربي ». (سلسلة : في دائرة الضوء رقم ٣٤).
- « التجربة الغربية في بلاد المسلمين ». (ط : ١٩٧٩م).
- « تحديات في وجه المجتمع الإسلامي ». (سلسلة : في دائرة الضوء رقم ٣٠).
- « تحديات في وجه المرأة المسلمة ». (سلسلة : أحاديث إلى الشباب المسلم رقم ٦).
- « تحديات الفكر الإسلامي ». (سلسلة:الرسائل العلمية).
- «تراجم الأعلام المعاصرين في العالم الإسلامي ».
- « تصحيح أكبر خطأ في تاريخ الإسلام الحديث .. السلطان عبد الحميد والخلافة الإسلامية ». (سلسلة : في دائرة الضوء رقم ٧).
- « تصحيح المفاهيم ». (سلسلة : موسوعة القرن الخامس عشر الهجري رقم ١١).